JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ
العدد الأول
(١) -(٢٠)

العتبات النَّصيَّة في نِتاج حميد الزاملي القصصي
دراسة في العنوان ولوحة الغلاف والإهداء

م.د محمد حسن عباس بخيت الزيدي
المديرية العامة لتربية محافظة واسط
وزارة التربية – العراق
zaidiiraq1973@gmail.com

الملخص

تسهم العتبات النَّصيَّة في الأدب بشكلٍ عامٍ انطلاقاً من ما تضمره من قيمة معرفيّة بدور محوري في إضاءة النّص وكشف أغواره التي يلفّها الغموض في بعض الأحيان ، ويمكن من خلال العتبات الدخول إلى محتوى النّص الإبداعي والتغلغل في دهاليزه ، وبذلك يصبح دور العتبة مكوناً أساسيا وجوهرياً لا يمكن نكران خصائصه ومقوماته، في التأسيس لمداخل وعي النّص وإبراز حالة المصاحبة بينهما .

وفي خضم الجهود النقديّة التي بذلها النقاد والباحثون في دراسة العتبات النَّصيَّة، فقد ثبت بأنَّ لها دور كبير في مساعدتهم بمعرفة مضمون النّصوص وتفكيكيها ، هذا البحث سيحاول تبيان دور العتبات النَّصيَّة الثلاثة (العنوان– لوحة الغلاف– الإهداء) في المجموعات القصصية للقاص حميد الزاملي، والبحث في علاقاتها المتشابكة، ورموزها المختلفة.

كلمات مفتاحية : العتبات ، نصية وحميد الزاملي ، نتاج

Textual Thresholds In Hamid Al-Zamili's Story Work
Study In The Title, Cover Plate, And Dedication

Dr. Muhammad Hassan Abbas Bakhit Al-Zaidi

Abstract

Textual thresholds have proven their great role in helping to know the content of texts and deconstruct them. This research will attempt to clarify the

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

role of the three textual thresholds (title - cover plate - dedication) in the story collections of Hamid Al Zamili, and research their intertwining relationships and their various symbols.

Key words , Thresholds , Text , Hamid Al-Zamili, product

المقدمة

أولت الدراسات النقديّة النّص الأدبي بمختلف أشكاله اهتماماً بالغاً، وأفردت للنّص المقروء من الدراسة والتحليل نتاجاً هائلاً، لكنها غضّت الطرف في بادئ الأمر عن المؤثرات المحيطة بالنّص، ودورها في كشف دواخله وما يضمر.

ولا يمكن بأي شكل من الأشكال التغاضي عن دور الناقد الفرنسي "جينيت" وجهوده النقديّة ومحاولاته في تطوير آلياته الإجرائية في دراسة العتبات ووظائفها بشكل كبير، ولعل تلك الجهود شجعت نقاد الأدب الحديث– فيما يبدو– إلى إيلاء النّص وما يحيط به، اهتماماً بالغاً في التمحيص والتنقيب النقدي، محاولين فهمه من الداخل ومعرفة أسراره وشفراته، فهو أول ما يواجه المتلقي، ومدخله الرئيس، ومساعده في الدخول إلى أعماق النّصوص، والوقوف على ماهية ما يود المبدع قوله ، فتلك العتبات لا تخلو من ملامح توظيفيّة يحاول من خلالها المبدع تسويق منتجه من تقريرية العبارة إلى دلالتها، رابطاً بيها وبين عتباتها بقواسم عدة.

ومع تقدُّم الجهود النقديّة العربية بدأت دراسة العتبات تتطور شيئاً فشيئاً، وقد تكللت تلك الجهود في إفراد مساحةٍ لا بأس بها لدراستها بشكل مستقل، ومن ذلك ما قدمه "الحق بلعابد" من جهود نقدية في دراسة "عتبات جيرار جينت من النّص إلى المناص" في العام ٢٠٠٨ ، ودراسة "خالد حسين" التي اسماها" في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النَّصيَّة" في العام ٢٠٠٧ ، وسبقتها جهود "عبد الرزاق بلال" في مدخله إلى عتبات النّص، التي خصصها لدراسة "مقدمات النقد العربي"، وغير ذلك من الجهود العلمية المضنية التي بُذلت في هذا الإطار .

البحث الذي بين أيدينا مخصص لدراسة نتاج واحد من قصاصي العراق، قاص سطعت مدلولات عتبات مجموعاته القصصية جليّة في نتاجه الإبداعي، ونجح في تضمين تلك العتبات مقاصده الدلالية، وأبرز العلاقة التي تربط مكوناتها، وما يمكن أن توديه من دور في اكتمال النّص بشكله النهائي، وسيحاول الباحث تتبع العلاقة الدلالية بين النّص المتّني والعتبات، وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي ،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

فهو من أقرب المناهج لمثل هذه الدراسة التي تقارب النّص القصصي من منظور العتبات النَّصيَّة (الداخلية و الخارجية) بغية الكشف عن الدلالات والمعاني الغامضة المخبوءة في فجوات النّص وفراغاته، وتفكيك ما أمكن تفكيكه من شفرات النّص .

العتبات التي سنتحدث عنها في هذا البحث هي نصوص موازية تعكس علاقتها الدلالية بالعنوانات الفرعية والسياق الخارجي ، وتبرز طبيعة العلائق المتنوعة والمتعددة في المجموعات القصصية الخمس للقاص حميد الزاملي (الهجرة إلى مملكة الثلج –عودة اللقلق– قبوط هتلر– آخر الأخبار– سكاكين حرير) وسيقتصر البحث على دراسة ثلاث عتبات هي" العنوان الرئيس ولوحة الغلاف والإهداء" مراعاة لضوابط البحث العلمي من جهة ، ولكونها من أكثر العتبات فاعلية وتميزاً بتعالق نصيٍّ ، تلبي رغبة البحث وتُغنيه بمادة علمية مميّزة من جانب آخر.

وسيجيب البحث عن تساؤلات عديدة تتمحور حول المعاني الدلالية للعتبات، ودورها في النّص المتّني، ويكشف عن الوعي المعرفي الذي استفاد منه القاص في تسمية العتبات، ويضيئ على جوانب مهمة من سيرة الزاملي، ويتقرب من فضاءاته الإبداعية .

تتميز أعمال القاص حميد الزاملي بتنوع وغزارة في الإنتاج، فقد اشتغل على ما يعرف بـ" التنوع الاجناسي" وكتب الشعر والقصة والخاطرة وغير ذلك .

وعلى نحو تجريبي مكثّف تميَّز القاص في الاشتغال السردي الدلالي على العتبات، فلا تكتفي عتباته بواحدة دون سواها، بل اعتاد أن يردفها بعتبات ثنائية، تهدف إلى إدهاش القارئ، وتقديم بُنى دلالية تسهم بتفسير النّص وتبين محتواه من قصد ورؤية، حتى أضحت نصوصه لا تقلُّ أهمية عن المبنى النّصي .

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

حميد الزاملي في سطور

في مدينة الحي جنوبي محافظة واسط ولد القاص حميد الزاملي في العام ١٩٥٨ ، بدأ تعليمه في مدارس مدينته ليتخرج في العام ١٩٧٧من معهد التكنلوجيا ، وفي العام ٢٠٠٢ تولدت الرغبة لدى الزاملي باستكمال تعليمه الجامعي، فدخل إلى كلية التربية الأساسية في محافظة واسط، وتخرج حائزاً على شهادة البكالوريوس من قسم اللغة العربية عام ٢٠٠٦. ومن أبرز اصداراته

- نزيف النخيل– مجموعة شعرية مكتبة الطالب – واسط
- مراثي درب القمر– مجموعة شعرية – مكتبة الثقافة
- ميزوبوتيميا– مجموعة شعرية مشتركة – إصدارات إتّحاد أدباء واسط

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

- هنا نلتقي – مجموعة قصصية مشتركة – إتّحاد أدباء واسط
- ثنائيات– مجموعة قصصية مشتركة – إتّحاد أدباء واسط
- الهجرة إلى مملكة الثلج – مجموعة قصصية – وزارة الثقافة العراقية
- عودة اللقلق – مجموعة قصصية – دار نشر مكتبة عدنان
- قبوط هتلر– مجموعة قصصية – دار نشر مكتبة عدنان
- آخر الأخبار– مجموعة قصصية – اصدارات اتحاد أدباء واسط
- سكاكين حرير– مجموعة قصصية – منشورات الاتحاد العام لأدباء العراق.

تجلّيات العتبات النَّصيَّة في نتاج الزاملي.

توسّع النقاد والباحثون في تفسير مفهوم العتبات النَّصيَّة لغةً واصطلاحاً في ثنايا الكثير من دراستهم المختلفة وأشبعوها دراسة وتمحيصاً، ولسنا هنا بصدد إعادة ما كتبه أولئك خشية الإعادة المملة، لكن سنكتفي بتبيان أهمية العتبات النَّصيَّة التي تضطلع بمهمة تدشين النّص والتعريف بمضمونه ، بوصفه مدخلاً لبحثنا هذا.

تعريف العتبات النَّصيَّة:

يسميها بعض النقاد مجموع اللواحق، أو متممات نسيج النّص، وهي خطاب مستقل له ضوابطه وآلياته ودواعيه، وجميعها تفضي بالمتلقي إلى باب القراءة الدقيقة للنّص وكشف أسراره.

والعتبات هي "مجموع النّصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: كالحواشي والهوامش والعناوين الرئيسة والفرعية وفهارس ومقدمات الكتب وخاتمتها التي تشكل جميعها نظاماً إشارياً ومعرفياً لا يقل أهمية عن المتن الذي يخفره أو يحيط به، بل إنّه يلعب دوراً مهماً في نوعية القراءة و توجيهها" (عبد الرزاق بلال، ٢٠٠٠، ١٦) ولكونها ترتبط بسياق المتن النّصي، فقد تحقق العتبات النَّصيَّة أغراضاً بلاغية وجمالية، إذ لا قيمة لها في غياب المتن ولا ضرورة لوجودها، فهما مرتبطان ببعضها وحضورهما حضور تكاملي، فهي تفيده في المماثلة؛ كما في المعارضة والتفسير.

أولاً: العنوان

يمثل العنوان أول شيفرة رمزيّة يلتقيها القارئ، وأول محطة تشدُّ انتباهه، ومفتاحاً مهماً من أهم مفاتيح تحليل النّصوص الأدبيّة، ولأنه يمثل علامة نصيّة متقدمة في واجهة أي عمل أدبي، فهو أول ما يجب" التركيز عليه وفحصه وتحليله، بوصفه نصّاً أوّليّاً يوحي بما سيأتي بعده في المضمون (**عبد الفتّاح الحجمري، ١٩٩٦، ٢٧**) .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

وفي مجموعة الزاملي القصصيّة التي عنونها" الهجرة إلى مملكة الثلج" والصادرة عن مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية الذي تبنته وزارة الثقافة العراقية في العام ٢٠١٣، يكشف مفهوم العنوان الدلالي عن رغبة نفسية ضاغطة في الهجرة نحو مكان يُشعر النفس الإنسانية باستقرارها وهدوئها وابتعادها عن صخب الحياة، مملكة ثلجية بيضاء ، لا وجود لأي سواد قد يخدش هدوء واستقرار النفوس المتعبة .

ومع أن رمزية المملكة التي يريدها الزاملي منبثقة من حجم المعاناة التي عاشها وتمثل محاولة للهرب من واقعه المأزوم ، لكنها تبدو عصية على التصوّر الإنساني، فهل هي مملكة وقتية تنتهي بذوبان ثلجها مع أول شروق شمس؟ أم دائمية في الخيال فقط بدوام دواعي الهجرة إليها .

تكشف عتبة العنوان عن أبعاد الأزمات النفسيّة والمعنويّة التي يعيشها الإنسان على هذه البسيطة، عيش في زمن اضمحلت فيه القيّم الإنسانية، وتقلصت بوادر التفاؤل، وغدا القالب الذي يصب فيه العالم كشمع منصهر(**سمير الخليل، مقالة، ٢٠١٦**) هكذا هي عتبة العنوان في مختلف الأعمال الأدبية ، تصريح وتلميح، وكلاهما يعكسان قدرةً توظيفيّة كبيرة للأديب في التعبير عن مكنوناته النفسيّة ومعاناته مع الواقع المأزوم ، وليس هذا فحسب؛ فرُبَّما يسعى الزاملي إلى رغبة في الوصول لمكان يعيش فيه بمفرده ، مكان يريده متواسقاً مع لون الثلج الطافح بالبراءة والنقاء، هروباً من آلامه التي تعتصر قلبه آسى ولوعة، ومن هنا جاءت رغبته بالهجرة الأبديّة دون التفكير ولو للحظة في العودة لواقع عايشه بالملل والضجر(**ينظر: سمير الخليل، ، مرجع سابق.**)

وفي محاولة رُبَّما تكون قصديّة من القاص في ترسيخ مفهوم معيَّن من مفاهيم المتوالية القصصية بثيمة محددة بدأها من رغبة نفسيّة في الهرب من واقع مأزوم مثقل بالجراح؛ نحو مملكة بيضاء متخيّلة لا سواد فيها، إلى تفاؤل بعودة اللقلق، يمثل العنوان الرئيس لمجموعة الزاملي الثانية "**عودة اللقلق**" بوابة الدخول لعالمها الرمزي المليء بالألغاز، والغموض الذي تعمد القاص ممارسته أثناء عملية السرد، ليضع المتلقي في حيرة التأويلات المتعددة، وتلك بحد ذاتها إمكانات سردية وتقنيّات جديدة في الكتابة يعرفها الزاملي ويعرف أبعادها جيداً، ومع إدراكه بأنَّ العنوان هو الذي يرشد المتلقي نحو أسرار النّص، لكنه حاول أن لا يبوح بكل مدلولاته؛ ولا يطرح ما يحمله بشكل واضح، فمدلوله كامن في منطق تكونه، وفي ما يشيء به من معان ودلالات كاملة " (**عبد المالك أشهبون، ، ٢٠٠٩، ١٢**).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

ولا تمثل عنوانات نتاج الزاملي مظهراً من مظاهر ما يمكن أن نسميه "مكيجة النّص"، بل تجده ساعياً إلى أن يكون العنوان من مظاهر التواصل بينه وبين المتلقي من جهة، ومضمونه الداخلي من جهة أخرى.

ويحيلنا عنوان المجموعة الثانية" **عودة اللقلق**" ليضعنا وسط قصص الاغتراب التي عاشتها الذات الساردة والمعاناة التي رافقتها، وطبيعة ما كانت تمثل لها العودة إلى الدّيار من عودة للأمل، فعودة "**اللقلق**" ذلك الطائر الذي تنسج حوله الذاكرة الشعبية الكثير من الصفات المحببة لنفس الإنسان ، رُبَّما تمثل من وجهة نظر كاتبها عودة طوعية لكل المفارقين والمبعدين عن أوطانهم، فهم قد يشتركون مع "اللقالق" بالوفاء والاخلاص والعودة للمكان الذي فارقوه، فعودتها في الموروث المجتمعي يمثل عودة للخير والنَّماء، وبذلك يجسد القاص ما يصطلح عليه النقاد بـ" الأصالة الأدبية"

ولأن القاص يعرف مواطن جمال اللغة وبراعة تصويرها، فرُبَّما أراد الربط بين مفهوم اللقلقة اللغوي وهي شدّة الصوت "الصياح"، وطبيعة ما كان يتعرض له المبعدون والمنفيون عن أوطانهم، ولا غرابة فهو "حريص على تسويق نص يعتمد على صناعة الفنتازيا، ويذهب نحو الأقاصي، نحو حالة من الالتباسات، وتداخل المواقف والحوارات(**حميد حسن جعفر، مقالة، ٢٠١٤**)، وأياً تكن مرامي الزاملي، فقد نجح في احتواء شخصية القناع وتقمص دورها، ليعبر عن معاناة الذات من الآخر الذي تسبب بهجرتها وتركها للوطن أكثر من مرّة .

وإذا ما أدلفنا نحو مجموعة الزاملي الثالثة **(قبوط هتلر)**، فأول ما يثير التساؤل هو عنوانها، فمن هو (هتلر)؟ ولماذا وظَّفه القاص ليكون عنواناً رئيساً لمجموعته، ومهيمناً على مجرياتها ، لكن القراءة المتفحصة للعنوان تكشف أن السارد وظَّفه ليكون رمزاً للسلطة المتجبرة ، فاسم (هتلر) وحده يحيل إلى الحرب وتداعياتها؛ ووجوده في بنيّة العنوان بوصلة تؤشّر إلى ذلك.

وقد يعكس "قبوط هتلر" مظهراً من مظاهر البطش والتنكيل الحرمان والفاقة التي عاشها العراقيون في الداخل والخارج، إذ يتضح نجاح الزاملي في تصويرها قصصياً بمستويات بلاغيّة مختلفة، وتكثيف دلالي في طرح المعاناة الجمعية، ورغبتها الحقيقية في التمرد على الواقع .

لقد نجح القاص في حشد العديد من المعادلات الموضوعيّة في مجموعته القصصيّة، كتلك التي تتعلق بالحرب وأثارها، وتداعيات الحصار والنفي والإبعاد القسري التي تعرض لها العراقيون، ليشير إلى معاناة الذات من جرّاء ما تتعرض له من ممارسات تصادر حريتها في العيش بكرامة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

وبذلك تنجح عتبة العنوان الرئيس في جعل المتلقي ممسكاً بالخطوط الأمامية للنّص؛ وتحديد مقاصده الدلاليّة والتداوليّة ، وفك شفراته ومقاصد السارد، لأن العنوان هو الذي أضاء على ما في الداخل النّصيّ من دلالات، كونه "يتّصل به اتّصالاً يجعله يتداخل معه إلى حدِّ كبيرٍ؛ وينفصل عنه انفصالاً يسمح للداخل النّصيّ، بنيةً وبناءً، أن يشتغل وينتج دلاليته" **(خالد بلقاسم، ٢٠٠٠، ٢٨)** ومن هنا يبرز الوعي بدلالة عتبة العنوان النَّصيَّة؛ وانتمائها لداخل النّص وخارجه، والدور الذي تؤدّيه في تجنيب النقاد من تحميل النّص ما لا يتحمل من الدلالات ، فهو "لا يحكي النّص، بل على العكس يظهر نيَّة المؤلِّف، ويعلن قصديّة النّص" **(بسام قطوس، ٢٠٠٢، ٢٦)**.

ويزخر "قبوط هتلر" بالرموز المعرفيَّة، ويعيد دلالة مفهوم الـ" قبوط " الذي يؤرّق القاص، فهو لا يُلغي ارتباط الدوال بالمدلولات الشّائعة لكلٍّ من (القبوط)، و(هتلر)، بل يعيد إنتاجها في سياق قصصي جديد يطفح بالدلالات المتجدّدة، مجسداً ما ذهب إليه النقاد من أن العنوان ليس زائدة لغويّة في النّص الأدبيّ، أو عنصراً من عناصره انتُزِع من سياقه؛ بل هو بنيةٌ لغويّة، تتصدّر النّص، وتتعالق معه دلاليّاً، وجزءٌ عضويّ، ذو دلالة رمزيّة عميقة، بوصفه النواة التي بنى المبدع عليها نصّه **(محمّد فكري الجزار، ١٩٩٨، ١٩٨)** عبر سرد قصصي لخبايا النفس الإنسانية، ومصائبها في ديار الغربة، والتأسف على الحياة الضائعة .

وفي مجموعته الرابعة التي أسماها "**أخر الأخبار**" سعى القاص إلى إعادة نشر نصوصه التي كان قد نشرها على صفحته في مواقع التواصل الاجتماعي، والمتميِّزة بعدم انتمائها إلى جنس أدبي معين، محاولة القاص وإن كانت جديدة في المشهد القصصي؛ رُبَّما كانت محاولة لتقديم شيء مختلف لا يُشعر المتلقي بالملل والسأم، وقد تكون كما يعتقد بعض النقاد "محاولة لعدم التمسّك بالمنهج القديم في الكتابة الإبداعية، والسعي إلى صناعة شكل أدبي جديد، يناسب العصر وميول المجتمع" **(هاني كنهر العتابي، مقالة نقدية، ٢٠١٤)**.

ويبدو حرص القاص عبر عنوان مجموعته الافصاح عن مجموعة من الأحداث الواقعية والمتخيلة التي عاشها الزاملي، وما بين الحاضر والغائب، والكائن والممكن، والثبات والحياة، يظلُّ عنوان المجموعة غامضاً مستعصياً على الإدراك؛ ما لم يتم تصفح أوراقها لإزاحة الضبابية الكثيفة الموجودة على الغلاف من خلال قراءة المضمون الذي ينفي دلالة مفردة الآخر، وينفتح على نصوص إبداعية فيها ما فيها من تقنيات السرد وبراعة التصوير .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

ولأن العنوان أيقونة بصرية تأثيرية، فقد يمكن للمتلقي أن يلمس في" آخر الأخبار" ما يحيل مضمونها لنهاية شيء ما وأُفوله، لكن تصفح قصص المجموعة يكسر توقعات أفقه ودلالات نهايات الأشياء وخواتيمها ، بل العكس ينفتح على كلِّ ما هو جديد ، ورُبَّما هي تقنية جديدة تُغري المتلقي في الدخول إلى عالم المجموعة المكتنزة بأنواع متعددة من الأجناس الأدبية، وهذا يعني أن العنوان لم يكن طارئاً، بل العكس؛ فقد تم تمثل قضاياه وظواهره عبر تعالقه وحواريته مع الخصوصية النَّصيَّة داخل العمل القصصي **(يوسف الادريسي ، ٢٠١٥، ٧٦)**.

ويكشف أيضاً عن رغبة الزاملي في جعل المتلقي مجتهداً في استشفاف متن النّص لجهة عتبة العنوان؛ التي تفتح أمامه أبواب النّص على توظيف مختلف في الدلالة والمفهوم.

وبذلك يمكن القول: إن "آخر الأخبار" تمثل نوعاً جديداً من الخطاب القصصي، وتحولاً في كتابة القص من حيث الشكل والمضمون، وكأن القاص كان يبحث عن ما يثير انتباه المتلقي.

ويتكون عنوان المجموعة الخامسة للزاملي" **سكاكين حرير**" من الناحية التركيبيّة من صفة وموصوف، وصف القاص فيه مفردة "سكاكين" بالـ" حرير"، صفة لا تبدو فيها العلاقة بينهما واقعية ومتجانسة ، مع أنّ المفردتين تحيلان المتلقي على المادي دون المعنوي، بحكم أنّ دلالة الـ" سكاكين" يشير إلى استخدامها في القطع والقتال، بينما تشير دلالة مفردة الحرير" إلى النعومة والترف.

وحتى من الناحية الصرفيّة؛ فالعنوان يتألّف من اسمين غير مرتبطين بالزمان؛ وتتوقّف الحركة فيهما إلاّ عبر التصوّر الذهني، فيما يشكل العنوان استثارة لخيال المتلقّي عبر بنية متخيّلة متشابكة من الممكن واللا ممكن، ومن المعقول واللامعقول" السكاكين والحرير"

لكن يبقى من الطبيعي أن يتبادر إلى الذهن سؤال منطقي: كيف يمكن للحرير ممارسة دور السكين والإجهاز على أحلام النّاس البريئة ، في عنوان قصصي مسكون بإثارة الأسئلة وزعزعة ما استقرّ في أذهاننا، فليس من قبيل المصادفة أن يبتكر القاص عنواناً كهذا ، فهو كغيره من عامة النّاس ينوء تحت تداعيات سلبيّة لظاهرة اجتماعيّة نتلمس آثارها في حياتنا اليومية، وبذلك ينفتح العنوان على رؤى وإشارات معرفيّة لتلك الظاهرة التي رسخّت بناء الدلالة الحيويّة لمفهوم السكاكين الحريرية في مخيلة القاص.

ولأن السارد وضع العنوان وسط حشد من الوجوه البشرية المتعددة، فهذا يعني أن تلك الوجوه تمارس الفعل نفسه الذي تمارسه السكاكين، وهو ما يحيلنا إلى ظاهرة النفاق المجتمعي، وكأن القاص أراد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

القول: بأن النّاس قد تُعجب ببعض الوجوه الجميلة الحسنة والناعمة؛ الا أنَّها في الحقيقة تمارس دوراً مجتمعيّاً خطيراً، وبذلك يعكس القاص أهمية العنوان في الأعمال الأدبية، ومقاصده الدلاليّة المتنوعة.

ولأن الرمز في الأعمال الأدبية ينفتح على تأويلات عديدة بعدد قراءه، ويستلزم ذلك حاجة الناقد إلى الوقوف على مجمل الظروف التي عاشها الأديب، فرُبَّما أراد الزاملي الإشارة إلى شخصية "الحْرَير" ويومياته؛ يوم كان يعدُّ واحداً من أشقياء مدينة الحي التي قضى فيها الزاملي ردحاً من حياته، وقتما كان "الحْرَير" يشهر سكاكينه ليقطع شوارع وطرقات المدينة إلى جانب أشقياء آخرين كـ" كاظم موسي" و"محسن بُهلي" و"محسن كرش" الذي عُرف بشغفه إلى الخمرة .

وإذا ما كانت هذه القراءة دقيقة وواقعية، فأن ذلك يعكس اهتمام السرديين بالبحث عن طرق وتقنيات جديدة لكتابة عنوانات لقصصهم، من خلال طرح أفكار ومفردات وعوالم جديدة على ذائقة المتلقي، فالزاملي واحد من القصاصين الذين سلكوا أسلوباً ونهجاً جديداً في صياغة الأفكار وبلورتها، وتميّز في الجمع بين القديم والحديث والرمزي والواقعي، فمخيلته المكتنزة بالذكريات وتأثره ببيئته الريفية تُسهم بجعل نصوصه مستساغة ومقبولة ، وهو ما ينفي عنها الاعتباطية.

ثانياً: لوحة الغلاف

لم يعد غلاف العمل السردي عتبة من عتبات العمل الإبداعي وحسب؛ بل أضحى مشتملاً على دلالات جماليّة وعلائقيّة بالمحتوى، تسهم في رسم فلسفة النّص وتفكيك رموزه ، ومن هنا باتت الحاجة قائمة لملازمة سمعيّة وبصرية يستمدها السارد من مخزونه المعرفي ومحيطة الاجتماعي، اللذين يشكلان وعيَّه وذهنيته، وبناء معارفه الدلالية ، فالغلاف سواء كان رمزيّاً أو مباشراً في دلالاته، لابد أن يعبّر عن المضمون خير تعبير، وهو ما يتطلب حسّاً في التقاط تلك التفاصيل والجزئيات، فـ" العلامة الأيقونية لا تدل على المعنى من تلقاء ذاتها، لكنها تستدعي استحضار التجربة الثقافية كشرط أولي للإمساك بممكنات التدليل" (**فيصل الأحمر ، ٢٠١٠، ٧٩**).

ولا يمكن الجزم بقرب كلِّ لوحات الأغلفة التي وضعها المبدعون على واجهات كتبهم من مضمونها، فقد تبتعد وتقترب تبعاً لتصورات القاص، وقد يتضمن بعضها رسومات هلامية طلسميّة لا صلة لها بمضمون العمل ، لكن مع كلِّ ذلك لا يمكن للمتلقي تجاهل لوحة الغلاف ورموزها، لما تؤديه من دور كبير في ترسيخ دلالات يرسمها أفق المؤلف ، فلا ينبغي قراءة النّص مباشرة قبل الولوج إلى ما يمكن تسميتها "المفاتيح المصاحبة للنص، التي تشكل رؤية مؤيدة لما يرتضيه الكاتب (سمير عبد الرحيم أغا، **مقالة، ٢٠١١**).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

وإذا استطاع المتلقي فهم مكونات اللوحة وفكّك شفراتها، صار دخوله إلى فضاء النّص سهلاً ويسيراً ، لما يمثل ذلك الفهم من" كُوة نصّية تسلط الضوء على ما يموج بداخل المتن القصصي " **(عبد الفتاح الحجمري ، مرجع سابق، ٧٥)**.

وفي مجموعة الزاملي المعنونة" **الهجرة نحو مملكة الثلج**" أُختيرت لوحة الغلاف متضمنة صورة لرسم متخيّل لبناية شاهقة بيضاء اللون تقع على قمة جبل، حيث الهدوء والسكينة والدِّعة، دون أن يتضح فيها أثر بشري، وإلى جانبها يظهر شريط مصور لمواقع وثقافات عراقية خالصة، اتخذته اللجنة المنظمة لمشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية في حينها شعاراً لمهرجانها .

ومع أن اللوحة المختارة لا تخفِ أية معالم سيميائية ذات قيمة فنّية عالية، لكنها تعكس شحنة دلاليّة في نفس الكاتب هدفها إثارة القارئ، وتلفته إلى بعض ما سوف يواجهه في متون النّصوص، لا سيّما وأن السارد يتطلع لرحلة نحو مملكة بيضاء خالصة، قد تكون رحلة قرائية نحو الكتاب، ليس فيها ما يعكر صفو العيش، فاللوحة تقرِّب العمل من عالمها الحكائي، لما تمثله من بنية تساؤليّة مركّبة تبرز مركبات عنوان المجموعة القصصيّة.

ومن أثار الفنان الذي بقيَّ ملتزماً بالدفاع عن التفاعلات الإنسانية والقيم المجتمعيّة فيصل لعيبي، يستل الزاملي واحدة من نفائسه ليضعها لوحة لغلاف مجموعته " **عودة اللقلق**" ، لوحة فنية تجمع بين المدرسة البغدادية والواقعية التعبيرية، وتعتني بالمساحة اللونيّة التي تتقاسم الفضاء التصميمي ، باعتماد اللون الأصفر .

وتحتوي لوحة الغلاف التي رُبَّما تقترب من فن المدرسة البغدادية ومحاولات المصور الإسلامي "محمود بن يحيى الواسطي" وجوهاً مختلفة، رجال يحملون أبواقاً للدلالة على الفرح والسعادة، مع حضور لحمامة السلام والأمان، وسط الجموع البشرية التي تتجه نحو نقطة معينة ، ونساء وأطفال بأعمار مختلفة وملابس ريفية، وأخرى يرتديها أهل الحضر، جميع تلك الأيقونات المتنوعة تشكل دافعاً قويًّا للقارئ لمعرفة ماهيتها وعلاقتها بمضمون المجموعة؛ ليتبين عبر القراءة أن اللوحة رُبَّما تعكس موقف الفنان فيصل لعيبي ذو التوجهات اليسارية من ثورة ١٩٥٨ التي اسقطت الحكم الملكي في العراق، لما يمثله الحدث من وجه نظر لعيبي من عهد جديد ومصير مختلف لفسيفساء المجتمع العراقي، وموقفه من التغير السياسي آنذاك، وبذلك يتحقق التوظيف التشكيلي الضمني بين دلالات لوحة الغلاف ، ومضامين عودة طائر اللقلق، وما يعكسه من رمزيّة كبيرة في الموروث العراقي .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

وبموازاة هذه القراءة النقدية يمكن النسج من الترسيمة الدلالية للوحة الغلاف مجموعة من العلاقات التي تساعد في الربط بين تأويل البنية الشكلية التي رصدت سابقاً، ومضامين العمل الأدبي. فما تلك اللوحة إلاَّ ترجمة حقيقية لواقع الشخصيّة العراقيّة، ورصد لحالتها النفسيّة والاجتماعيّة التي تصارع من أجل البقاء والاستمرار في الحياة، والبحث عن الذات، وعن واقع أفضل للنفس البشريّة.

وينتج التضافر الواضح بين النّصوص التي تضمنتها مجموعة آخر الاخبار، وبين لوحة غلافها، تفاعلاً إيجابياً، عبر سيمائية الصورة والكلمة، وتبرِّز عتبة الغلاف جانباً أساسياً من العناصر المؤطرة لبناء القصص وطرائق تنظيمها وتحققها التخيلي، وهي" أساس كل قاعدة تواصلية تمكّن النّص من الانفتاح على أبعاد دلاليّة، تغني التركيب العام للحكاية" **(عبد الفتاح الحجمري، مرجع سابق، ٩٩)**

فالغلاف بتصميمه يعكس رؤية المؤلف ورسالته التي يسعى إلى إيصالها عبر النّص، وفي اختياره تحرَّى المبدع الدقة وفاعلية التوظيف ، منطلقاً من علاقة مجازية بين الغلاف ومضمون العمل الأدبي، وقدرة المتلقي على فهم مكونات الغلاف وفك شفراته، ومن ثم دخوله إلى فضاء النّص الإبداعي (عبد الفتاح الحجمري، ٩٩)

وإن رُمْنَا لأنفسنا فهم نصوص الزاملي وتأويلها في مجموعته" آخر الأخبار" أَطَلْنا النظر في صورة غلافها الأمامي الذي نلحظه لا ينفتح على التأويل فحسب، بل يرتبط بدائرة الواقعيّة المفصلة داخل المجموعة .

إن أبرز ما يميز لوحة الغلاف في المجموعة وجود "ألة البوق" وهي من الآلات الاشهاريّة، وكذلك الحروف الخارجة عنها ذات اللون الأزرق، والمستوحاة من لون واجهة برنامج الفيس بوك الذي يلتقي مع وظيفة البوق الاشهاريّة، فمواقع التواصل الاجتماعيّة أشبه بمقهًى عام يرتادها الجميع علناً.

ترصد قصص المجموعة انعكاسات واقع المؤلف الاجتماعي التي تظهر بانفعالات علنيّة أحياناً، ومكبوتة أحياناً أُخر. فرُبَّما هي صور الواقع التي يريد الزاملي التعبير عنها عبر ذهنيّة الفنان المصمم .

وحتى اللون الأصفر الذي يؤطر لوحة الغلاف فهو من الألوان الجميلة التي تبعث على الطاقّة، والتفاؤل والايجابيّة، وهو لون الإبداع والانطلاق نحو الحياة ، وهكذا هي مواقع التواصل؛ فقد أضحت لبعض الناس متنفساً وبيئة للهاربين من هموم الحياة ومنغصاتها، وهكذا تثبت عتبة اللوحة من كونها قاعدة تواصلية تمكِّن النّص من الانفتاح على أبعاد دلاليّة، والخط العام للحكاية وأشكال كتابتها"(**محمد صابر عبيد، ٢٠٠٨، ٥٥)**

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

وفي لوحة غلاف مجموعة "**قبوط هتلر**" يستشف المتلقي/ المُشاهد بصرياً، ما يحيل على خيط رابط بين اللوحة ومضمونها، فاللوحة التي ينتصب وسطها جسدان، أحدهما يمثل امرأة مجردة الملامح ، ذراعها اليسرى تستند على جسد رجل ضخم، ملامح جسده ووجهه مخفية عن المتلقي ، مرتدياً ما يشبه القبوط أو المعطف، ويحيط بها من الخارج اللون الأسود، وهو من الألوان الداكنة، وفيها تظهر العلاقات اللونيّة للأجساد داخل بنية العمل الذي يبرز فيه بصرياً علامات الجسدين الذكوري والانثوي؛ وفق رؤية معبِّرة للجمع ما بين التعبيريّة والرمزيّة .

يوحي الشكل العام للوحة للوهلة الأولى أن رغبة البحث عن حب صادق وحنان دافئ ورُبَّما إيروسي هي الغالبة ، لكن طريقة إقحام العلامات المشكلة لكلِّ جسد، ومحاولة الفنان نادية محمد تغييب الزمان والمكان، وإدخال علاماته في مناخ حلمي خاص، يدخل منظومته العلائمية إلى مناخ سوريالي، ويدعم هذا المناخ الإيروسي الذي تبثه العلامات بدلالة شكلي "الرجل بلباسه والمرأة المعتمة" وظهورهما في مكان أقرب إلى الظلام، بوصفها دلالة على العزلة بعيداً عن أعين الآخرين ، يعطي دلالة واسعة للوظائف المكونة والفاعلة للأشكال .

وعلاوة على هذا نلمس ثنائية اللون القاتم من الأسفل واللون شبه المضيء من الأعلى، وهي طريقة ذكية للخريطة البصرية والخطابية للنص العلائمي، قصدتها الفنانة لتوحي إن لهذه الألوان تصاهراً فيما بينها، وكأن الجسد الذكوري "المركزي" هو على علاقة مباشرة مع الجسد الأنثوي.

لتنفتح البنية الجسديّة للوحة الغلاف على قراءات وتأويلات لبناء معانٍ مختلفة توصفها قصديات ذاتية، ولأن وظيفة المعطف(قبوط) وقاية الإنسان من البرد وإخفاء ملامح جسده ، فإننا لا نعلم بطبيعة الحال إذا ما كان الشخص الذي يرتدي القبوط يحمل شيئاً أو يرتدي شيئاً آخر تحته ، ولذلك رُبَّما أرادت الفنانة أن يكون وظيفة المعطف الذي يرتديه شخص بشبحية سوداء خافياً للجانب الأسود من أمراض النفس البشرية، وقد يكون توظيفها للون الأحمر دلالة على خطورة ما يخفيه ذلك الـ" قبوط"، فقد تخفي القلوب ما هو أخطر من السلاح.

وحتى توظيف اسم "هتلر" رُبَّما قُصد به تأكيد حقيقة تلك الشخصية السوداء التي لا يمكن لأي معطف مهما كان سميكاً وزاد حجمه؛ تغطية أحقاده ونواياه الشريرة ، فكثيراً ما كان هتلر مولعاً بارتداء المعطف الطويل؛ عندما استباح العالم وارتكب أفظع الجرائم ، وكذا أراد الزاملي توظيف هذه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

اللوحة للتعبير عن قسوة السلطان وارتكابه لأبشع الجرائم ومصادرته لحريات الآخرين، ودفعه باتجاه إبعادهم خارج أوطانهم؛ ليلاقوا مصيرهم المجهول هناك.

وتتكون لوحة الغلاف الأمامي لمجموعة الزاملي "سكاكين حرير" من صورة يظهر في منتصفها عدد من الوجوه البشريّة المعتمة ذات الألوان والأشكال المختلفة، التي يحيطها ظلاً منعكساً على مساحة رأسيّة ، وهي أقرب ما تكون إلى السلويت Silhouette ، أي ما يمكن تسميته صوراً ظليّة.

ومن الطبيعي أن يكون لكلِّ وجه من وجوه لوحة الغلاف مدلوله الخاص، لكن لهذه الأنساق مجتمعة دلالات رُبَّما تعكس ظاهرة" الازدواجية المجتمعية" قصدها الزاملي وعبَّر من خلالها عن تجربة واقعيّة ، تظهر ملامحها جلية داخل المجموعة القصصيّة .

وتمثل خلفية ثنائيّة اللونين الأحمر والأصفر فضاءِ مفتوحاً يحتضن باقي مكونات اللوحة، ويُسهم بنقل واقع وأفكار ومواقف عبر كاليغرافيا مختلفة. لكن مع كلِّ ذلك، لا يمكن استكناه دلالات لوحة غلاف المجموعة؛ إلا باستدعاء مؤول دينامي؛ ننتقل بوساطته من المعاني الإيحائيّة إلى المعاني المباشرة ، فلا يمكن الوقوف على دلالات لوحات الأغلفة والدفع بمعانيها نحو التأويل الواقعي؛ إلا باستدعاء المؤول، بحسب المفهوم البورسي للتأويل، فهو كفيل بالانطلاق من متاهات التأويل إلى حدود الرسوخ ، وذاك المؤول هو ما تضمنته قصص المجموعة، وبرَّزه السارد بشكل ملحوظ.

ويعكس الخطاب البصري للوحة غلاف المجموعة واحدة من الصفات الإنسانية المذمومة / تعدد الوجوه وتنوعها ، وما يمكن أن تؤديه من دور مشابه للسكاكين في الدلالة والوظيفة .

ويبدو أن صاحب فكرة اللوحة الذي لم يُذكر اسمه على الغلاف، حاول التأثير في المتلقي وجذب انتباهه وإثارة اهتمامه، من خلال خاصيتي "التناسب والمرونة البصرية"، لتحقيق أفضل تمركز بصري ممكن، من شأنه المساعدة على التحكم في حركة العين، التي تنجذب نحو الأشياء ذات الأحجام الكبيرة، والأشكال البارزة والصور المحفّزة والألوان المثيرة "(**صلاح فضل، ١٩٩٧، ٨٨)** وهو ما يسوَّغ حرصه على اختيار أكثر من لون في اللوحة.

وما يمكن تأكيده في هذا الإطار بأنَّ جميع تلك الأفكار هي بمثابة بوابة العبور التي تهب المتلقي القدرة على اكتشاف مضمون المجموعة ، فغالبية مصممي لوحات الأغلفة يؤمنون بأنَّ الغلاف يفتن متلقيه بالمعنى الذي ينساق وراءه.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

ثالثاً: الإهداء

تتنوع الصيّغ الإهدائيّة في الأعمال الإبداعيّة بين الشكر والاعتراف والامتنان، وغيرها من الصيغ التي يلتمس فيها المتلقي بُعداً اجتماعياً وحميميّاً واضحاً، ويهدف الإهداء إلى خلق نوع من الصلات والروابط وتمتين عُراها بين المُهدي والمهدى اليه "**(عبد الحق بلعابد، ٢٠٠٨، ٧٢)** ولأهميته والوظيفة الدلاليّة التي يؤدّيها في عملية التلقي، وإسهامه في إضاءة عتمة النّص وكشف دهاليزه؛ اكتسب الوقوف عنده وتفكيك رموزه ومقاربته مع نصوص العمل وتحليلها ونقدها أهمية كبيرة في دراسة العتبات.

وللإهداء غايات ودواعٍ إنسانيّة وتربوية، تتجلى في بعض الأحيان باستهداف ذوي القربى ومن لهم حظوة خاصة عند المبدع ، كما وله غايات أيديولوجية تتضح عبر تضمينه نظريّة سياسيّة أو فكرية معينة، أو حتى مظاهر الانكسار التي يعيشها كاتب ما، وخيبة أمله من الظفر بمجتمع عادل يسوده القانون وتلبَّى فيه الحاجات، فهو فرصة للبوح والمكاشفة والتنفيس عما يجيش في الذات من تناقضات يرغب الكاتب تكثيف مضمونها في خطاب الإهداءات الذاتية على وجه الخصوص**(عبد المالك أشهبون ، مرجع سابق، ص٨٧)**.

وبعد أن حقق الزاملي جزءاً من مشروعه الثقافي؛ ويأس من حلم التلاقي مع من يحب، صار من المسلمات لديه أن والديه فرِحان بما أنجز، ولذلك تماهى مع تلك النشوة النفسيَّة مستعيداً صور المكان والزمان والذكريات وحياة الماضي يوم كان يترنح في رعاية والدته .

يقف المتلقي علي إهداء الزاملي "**في الهجرة نحو مملكة الثلج**" على توظيف يثير وجدانه بتساؤلات عديدة تكمن في النقاط التي يضعها القاص في نهايات إهدائه ، وكأنها طلاسم يريد من القارئ تحليل مضمونها ومعرفة رموزها، فهي قد تؤرخ لحدث معيّن، أو رُبَّما مجموعها يعني للزاملي شيئاً ما، خصوصاً وأنها تأتي في إطار عاطفة متدفقة ومشاعر جيَّاشة فيها من تداعيات الألم والحزن والعذاب واللوعة والفراق والغربة واللقاء وقسوة الحياة والحنين والشوق واللوم والعتاب والليل الطويل ، ما تدعو كاتبها نحو الهجرة، ليعكس الإهداء جمالاً في التصوير، وتعبيراً عن الحالة الشعورية، وعمقاً في التجربة الإنسانية. فيقول.

أظنك الآن فرحاً يا أبي ...

وأنتِ يا أمي كما عهدتك...

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

تحدِّثين أُخوتي وتدلقين الماء خلف رحلتي القادمة .

ها أنا أحلق في بياض الأوراق

وأرسم الأشجان، وهاهم أصدقائي ينتظرون

أبي ، أمي ، إخوتي، أصدقائي، مدينتي .....

في حضرتكم ....

أعلن هجرتي إلى مملكة الثلج.

وفي مجموعة "عودة اللقلق" يعكس إهداء الكاتب قيَّماً كثيرةً ويؤدّي وظائفَ عديدة في إطارِ علاقاته الدلاليّة والإيحائيّة مع متون النّصوص القصصية، وهي علاقات تكاملية، لا يمكن فصلها، ومن يقرأ إهداء الزاملي يكتشف حرصه على توظيف جميع عتبات العمل النّصي للغرض المنشود ومضمونه، وكأن العتبات منفردة لا تفي بـ "القصديّة" التي أريدت منها، ما يعني أن المضمون من وجهة نظر الكاتب لا يمكن أن يؤدي مقاصده الدلالية والفنيّة والجماليّة، إلا عبر العتبات النَّصيَّة مجتمعة، يقول الزاملي في إهداءه:

إلى حقيقتي الوحيدة حتى الآن

إلى من علّمني كيف أعشق بإرادتي حتى الآن

إلى أبي الذي يرافقني حتى الآن

وعند استنطاق الإهداء ومحاولة فك رموزه وشفراته من خلال مضامين القصص، نقف على كثير من المقاربات بين ملفوظيّة الإهداء ووظائفه التداوليّة، وبين القصص التي اشتملت عليها المجموعة ومضامين أحداثها ، تُرى عن أي حقيقة يتحدث الكاتب؟ عن الوطن؟ أم عن الأب الذي يتّضح تعلقه به بشكل جليّ، أم عن الموت الذي غيَّب الكثير من أصدقائه المقربين، رُبَّما تشير أجواء قصص المجموعة بأن "اللقلق" قد يشير إلى والده الذي يمثل له وجوده في حياته حقيقة دامغة لا غبار عليها ، لكنه لم يشأ الافصاح عنه في الجزء الأول من الإهداء ، وهذه القراءة التأويليّة أقرب إلى الدقة لارتباط معناها بدلالة الجزأين الثاني والثالث من الإهداء الذي يظهر فيه أسلوب التذكير في المخاطب واضحاً، ولم يكتف السارد بذكر حقيقته الوحيدة؛ بل أشار إليها صراحة حينما قال: إن أباه يرافقه روحاً طيلة مدة اغترابه.

وعلى ما يبدو فأن الإهداء جاء ليوكد حقيقة وحيدة ومُهمَّة ضمن النّص هي وجود والد الكاتب، وهذا يعني أن كلَّ ما عدا حقيقة الأبوة هو سراب وليس واقعياً من وجهة نظره، ورُبَّما هذا التأويل

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

الأقرب لمضمون الإهداء، فالقاص عائد من بلادٍ غريبة لا يرحم فيها الغريب، لكن تلك الحقيقة يبدو هي من علمته كل شيء، وزرعت بداخله حب الوطن الذي لم يستطع نسيانه، ولذلك تمسك بحبه.

وكأن الزاملي في عودة اللقلق أراد نقل تجربته وما عاينه في بلاد الغربة إلى المتلقي؛ حتى يعيش ذات الانعكاسات التي عاشها، ليؤكد في النهاية أن البوح وكذا التعبير عن المواقف التي يريدها الأديب وما ينوي قوله؛ ونظرته للواقع والمستقبل على حدّ سواء؛ من أبرز مهامه التداوليّة التي لا تقف عند حدود المرسل والمرسل إليه، بل إلى جمهور الُقرّاء عامة، وهذا ما حصل بالفعل مع الزاملي.

ورُبَّما حتى النقاط التي وضعها القاص في نهاية كلِّ سطّر من سطور الإهداء لها وظائفها الدلاليّة التي تنفتح على كمٍّ هائل من التأويلات النقدية ، ليؤكد وجوب الوعي في عملية خلق فني حداثوي، هيّأه القاص من أنفاس "الذات" المبدعة و" الأنت" المخاطب، لينصهر كل الإهداء هادرا بأصوات تتراوح بين الهمس والصراخ، والهمس والنبض ، فتلك النقاط تحمل في ثناياها قصصاً ومواقف، وكأن السارد وضع مسؤولية تفكيكها على المتلقي العليم.

وحينما نقرأ إهداء الزاملي في "قبوط هتلر" نجده لا يختلف عما جرت عليه عادة المؤلفين في إهداء نتاجاتهم إلى شخصية معينة، لكن اختلاف إهداء الزاملي في "قبوط هتلر" هو سعيه المتكرر إخفاء ملامح الشخص المُهدى إليه النتاج عن المتلقي، أو حتى ما يدل عليه، وتلك الظاهرة التي تكررت في نتاجه قد تندرج في إطار أسباب خاصة بالمؤلف نفسه، تبررها تلك العلاقة الوديّة التي عادة ما تربط المُهدي والمهَدى إليه .

لكن مع كل ما قيل، وما يطرح من أن سياق النّص وبيئته يكونان عاملين مساعدين في تحديد معنى الرمز وفاعليته، أزعم أن بعض النقاد يحمِّلون بعض النّصوص الرمزية فوق طاقتها، ويلبسونها وجهات نظر نقديّة لا صلة لها بحقيقة القول وماهيته .

ويتضح من الإهداء الذي سطَّره القاص في مستهل المجموعة والذي يقول فيه " **عرفانا لاختيارك المجنون بمرافقتي حتى النهاية، أهديك كلماتي المصحوبة بالألم، وتذكري أنني لم أنس يوماً أمي وأبي ووطني**" أنه يعبر عن حالة الضياع التي عاشتها الذات ويشكر من رافقه فيها ، ضياعٌ مجتمعيٌّ استطاع من خلاله رسم حدود المأساة ومظاهر الخيبة وحالة التشرّد والتلاشي التي كانت دافعاً للكتابة ، وحافزا للبوح والتعبير والإبداع.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

وإذا كانت الإهداءات التقليدية في الغالب تتوجّه بخطاباتها إلى أشخاص محدّدين، كالوالدين أو الزوجة والأبناء والإخوة والأصدقاء بلغة مباشرة تجعلنا لا نعيرها اهتماماً، فإن هذا الإهداء خالف المألوف باعتماده نوعاً من لغة التخفي الدلالي، حينما خاطب الأنثى دون أن يشير إليها، فتلك الأنثى التي رُبَّما هي عشيقة أو زوجة أو أخت، اختارت موقفاً جنونياً من وجهة نظر الزاملي حينما رافقت رجلاً مجنوناً، يحمل من الألم مايمكن أن يهديه للآخرين، ليقترن إهداؤه لحواء بعجزه عن نسيان والديه ووطنه .

وفي مجموعة "سكاكين حرير" يشير الإهداء في ملفوظه إلى معاناة الزاملي، وما عاينه من تردٍ ملحوظ في أحوال البلاد المختلفة ، ونتيجة لذلك تبقى هواجس الخوف والقلق والترقب تفرض نفسها على مجريات حياة الناس في العراق كما يراها الزاملي نفسه، يقول القاص في إهدائه

أن نكتب

أو نقرأ

أو نموت ..

ثمة هاجس واحد يقفز دائماً:

القلب

أو ....

أو هما معاً،

(ك) و(ب)..

أنا مدين لكما بأحلامي ، فقد أدمنت البوح وأنتما معي...

ويتضح من خلال مفردات الإهداء أن الزاملي نجح في استثارة المتلقي، حينما حرّضه وأثار انتباهه وجذبه إليه بطريقة ذكية، مشعرا إيّاه بأنَّ الهاجس الذي يتحدث عنه؛ مقلق للمرسل والمرسل اليه ، وبذلك نجح في اجتذاب المرسل إليه، على التقرب من النّصوص وقراءتها خصوصاً ممن يساوره الشعور بأنه يتكلم عنه.

ويتضح أن الزاملي أراد شكر شخص ما ، لكنه اكتفى بذكر الأحرف الأولى من الأسم ، وآخرين لم يشأ الإفصاح عنهما، مكتفياً بوضع نقاط عديدة في نهاية الإهداء. وهو بذلك يحقق وظيفة من وظائف الإهداء تكمن في" التماس الدعم والسند المعنوي من المُهدى إليه الذي يصبح بشكل

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

ما مسؤولاً عن العمل ، وعن استحقاقه الثقافي داخل فضاء التبادل الرمزي" **(سعيد الأيوبي، 2004 ، ٢٢)**

ولا نعرف –على وجه التحديد– طبيعة الأشخاص الذين أُهدي لهم العمل ، وهل كان ذلك حيّلة دلاليّة يحاول الزاملي إخفاء شيء ما ، تضاف لسلسلة الحيّل التي عمد إليها مراراً ، خصوصاً إذا ما علمنا بأنه من آولئك الذين تحملوا داخل جنبات الوطن ما تحملوا لسبب وآخر ، وتمرد على واقع يعتقده مريراً ، فرُبَّما مِثْل أولئك كانوا خير عون للزاملي الذي أهداهم أحلامه، ويا لها من هدية!! فالأحلام خير ما يهديها الإنسان ، فهي أسمى ما يؤد تحقيقه .

ويمكن القول: إن الإهداء في "آخر الاخبار" جاء مخالفاً لما جرت عليه العادة ليس من جهة التوظيف فقط، فقد تكوَّن من ثلاثة مقاطع ، أصر القاص فيه على توظيف تناص قرآني "قاب قوسين أو أدنى" وكأنه يريد الاعتراف بفضيلة وجود أبيه في حياته، ومن ثَم إهداء نتاجه القصصي إلى شخصه الذي رمز إليه بـ" حمد" ، ورُبَّما هو أحد الأسماء القريبة من اسمه " حميد" ليظهر القاص معاتباً نفسه وإصراره على البوح .

فكيف للزاملي المتّرع بحب الوطن التخلي عن البوح، وهو يعاني من فقد الأب والأم والعشيقة معاً في ديار الغربة التي أكلت ما تبقى من سنين عمره.

خلاصة البحث

وبعد جولة نقدية في ثنايا نتاج القاص حميد الزاملي، نخلص إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمالها على النحو التالي:

- اتَّضَحَ أن العتبات النَّصيَّة في نتاج القاص حميد الزاملي القصصي هي نصوص مجاورة رافقت النّص، وفككت بعضاً من شفراته، وعكست موقف الكاتب من بعض القضايا .
- تضمنت تراكيب الألفاظ الموظفة في صياغة عتبات النّصوص سياقات واضحة مشحونة ومحملة بالدلالات المفتوحة التي تعكس واقع البلاد .
- لوحظ أن الزاملي من القصاصين الذين استطاعوا التعبير عن واقع العراق في قالب فني ومعان واقعية، عكست حال البلاد وما عانته من أزمات متلاحقة، ونجحت في التعبير عن معاناة المجتمع .
- اشتملت العتبات النَّصيَّة في مجموعات الزاملي على عناصر هي : اللون، الصورة، التجنيس، العنوان، اسم المؤلف، المقدمة، الاهداء، وكيفية ترابطها مع قصص المجموعات.

- نجح القاص في ربط لوحات الأغلفة بمضامين قصصه التي جاء أغلبها مشحوناً بدلالات متعددة، عبّرت عن كل ما يشغل وجدان الكاتب من معاناة عاشها هو ووطنه، وحملت تفسيرات كثيرة للمتن، عكست طاقاته الإبداعيّة وضبابية ما عاناه في بلاد الغربة.
- ناقشت العتبات عدة موضوعات ، كالعزلة والتهجير والاقتتال الطائفي، وكان لها خصوصية قرائية مرتبطة بالمضمون الداخلي والخارجي ، وبهذا صارت امتداداً للمتن النّصي.

مكتبة البحث

أولاً: المصادر

١-حميد الزاملي، الهجرة نحو مملكة الثلج ، مجموعة قصصية، وزارة الثقافة، ٢٠١١
٢-الزاملي، عودة اللقلق ، مجموعة قصصية ، دار نشر مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣
٣-الزاملي ، قبوط هتلر، مجموعة قصصية ، دار نشر مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤
٤-آخر الأخبار- مجموعة قصصية – اصدارات إتحاد أدباء واسط، ٢٠١٧
٥-سكاكين حرير- مجموعة قصصية – منشورات الاتحاد العام لأدباء العراق، بغداد، ٢٠٢٠

ثانياً: المراجع

١-بسام قطوس، سيمياء العنوان، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٢.
٢- حميد حسن جعفر، عودة اللقلق/ تشظيات الأنا واستحضار الآخر، موقع الحزب الشيوعي العراقي، ٢٠١٤.
٣-خالد بلقاسم، أدونيس والخطاب الصّوفيّ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١.
٤-سعيد الأيوبي، عتبات النّص في ديوان " آدم الذي " للشاعرة حبيبة الصوفي، مجلة علامات، المغرب.
٥-سمير الخليل، وخز الحواس في مجموعة الهجرة إلى مملكة الثلج، صحيفة الزمان العراقية ، مقالة، ٢٠١٦.
٦-سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي العاصر، ط١، ٢٠٠١، دار الأفاق العربية، القاهرة.
٧-سمير عبد الرحيم أغا، عتبات النّص الروائي، موقع الحوار المتمدن، مقالة نقدية، رقم العدد ٣٣٥١، ٢٠١١.
٨-صلاح فضل، قراءة الصورة وصورة القراءة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧. – عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النّص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق ٢٠٠٠، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٠.
٩-عبد الحق بلعابد ، عتبات جيرار جينت من النّص إلى المناص، الدار العربية للعلوم – ناشرون، ٢٠٠٨، ط١.
١٠-عبد الفتاح الحجمري: عتبات النّص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، الطبعة ١٣ الاولى، ١٩٩٦.
١١-عبد المالك أشهبون، عتبات الكتابة الروائية، دار الحوار، ط١، دمشق، ٢٠٠٩.
١٢-فيصل الأحمر "معجم السيمائيات"، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

١٣-محمد صابر عبيد، سحر النّص، من أجنحة الشعر إلى أفق السرد، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.

١٤- محمّد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتّصال الأدبيّ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٨.

١٥-هاني كنهر العتابي، أوائل الأخبار في (آخر الأخبار) لحميد الزاملي، مقالة نقدية، موقع كتابات ، ٢٠١٤.

١٦-يوسف الادريسي ، عتبات النّص في التراث العربي ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون، ط١، ٢٠١٥.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية